

## ما يختص بيوم عيد الميلاد

وصلتني رسالة يوم عيد الميلاد الاثني ٧ يناير سنة ٢٠١٩م من أحد الأحرار الأجلء بالولايات المتحدة الأمريكية بما أربعة أسئلة للإجابة عليها، ومن بينها السؤال التالي:

**لماذا نُعيد عيد الميلاد في يومي ٢٨، ٢٩ كيهك كل أربع سنوات؟**

**وفيما يلي جانبٌ من الإجابة التي سُنتشر كاملة في الجزء الثالث من كتاب: محاضرات في ليتورجية كنيسة الإسكندرية والذي سيصدر بمشيئة الرب في يناير من العام القادم ٢٠٢٢م.**

كانت كنيسة روما هي أوّل من عرف الاحتفال بعيد الميلاد في أوائل القرن الرابع الميلادي، كعيد مستقل بذاته، في يوم ٢٥ ديسمبر من كل عام<sup>(١)</sup>. ومن روما، انتقل العيد إلى شمال إفريقيا، حيث تشهد الوثائق التاريخية أنه كان يُحتفل به فيما بين سنة ٣٦٢-٣٦٣م. وفي أواخر القرن الرابع الميلادي، تبنته كنائس شمال إيطاليا؛ ميلانو وتورينو ورافينا. ثمّ انتقل الاحتفال بعيد الميلاد في ٢٥ ديسمبر مستقلاً عن عيد الغطاس في الشرق، في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، في مناطق القُسطنطينية وآسيا الصُغرى وأنطاكية.

وكانت كنيسة الإسكندرية هي آخر كنيسة عرفت عيد الميلاد مستقلاً عن عيد الغطاس؛ فلم يكن عيد الميلاد ضمن قائمة الأعياد التي أوردها البابا أناسيوس الرسولي (٢٩٦-٣٧٣م). ويخبرنا يوحنا كاسيان الذي عاش في مصر خلال الفترة (٣٨٥-٤٠٠م) أن أساقفة مصر كانوا يحتفلون بعيد ميلاد المسيح وبعيد عماده في يوم واحد، عملاً بالتقليد القديم السائد في الشرق<sup>(٢)</sup>. ومن سيرة البابا ثاوفيلس الـ ٢٣ من باباوات الإسكندرية (٣٨٥-٤١٢م) نعرف أنه وضع عدّة قوانين كنسية لم يرد فيها ذكرٌ لعيد الميلاد<sup>(٣)</sup>، بينما أشار فيها إلى عيد الإيفانيا وعيد الفصح. أمّا أوّل إشارة تفيد استقلالية عيد الميلاد في مصر، فقد وردت في العظة التي ألقاها بولس الحمصي حول عيد الميلاد سنة ٤٣٢م، في حضرة القديس كيرلس الإسكندري، يوم أن زار الإسكندرية<sup>(٤)</sup>. أي أنه لا يوجد دليلٌ واحدٌ على أن الفصل بين العيدين قد حدث في مصر قبل سنة ٤٣١م.

إذاً؛ صار يوم ٢٥ ديسمبر بحسب التقويم اليولياني<sup>(٥)</sup>، بدءاً من القرن الخامس الميلادي، هو يوم عيد الميلاد في كل الشرق كما في الغرب أيضاً، إذ أن كثيراً من بلاد الشرق - ومن بينها مصر - كانت في هذا الوقت تابعة للإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف.

ولما تبنى الأقباط التقويم القبطي للاحتفال بأعيادهم، كان يوم ٢٥ ديسمبر يوافق ٢٩ كيهك في السنوات القبطية البسيطة، ويوافق يوم ٢٨ كيهك في السنوات القبطية الكبيسة التي تتكرّر كل أربع سنوات.

١- أوّل ذكر لاعتبار يوم ٢٥ ديسمبر أنه يوم ميلاد المسيح، جاء في التقويم الفيلوكالي نسبة إلى واضعه "فوريوس فيلو كالوس" Furios Philocalus. Cf. Anton Baumstark, *Comparative Liturgy, op. cit.*, p. 153.

2. John Cassian, *The Conferences, X. The Second Conference of Abbot Isaac, On Prayer*, Chapter II.

٣- عموماً لم يرد أي ذكر لعيد الميلاد في الشرق في أية قوانين كنسية قبل قوانين مجمع ترولو سنة ٦٩٢م، وبالتحديد في القانون ٧٩ لهذا المجمع.

4. James Hastings, *Encyclopedia of Religion and Ethics*, volume III, Edinburgh-New York, 1910, p. 604.

٥- التقويم اليولياني، نسبة إلى يوليوس قيصر، الذي استعان بعالم فلكي من الإسكندرية اسمه "سوسيجين". وهو الذي نقل التقويم المصري القديم سنة ٤٦ ق.م ولكنه عدّل في ترتيب الشهور، فجعل الفردي منها ٣١ يوماً، والزوجي ٣٠ يوماً، ما عدا شهر فبراير فجعله ٢٩ يوماً تُزاد إلى ٣٠ يوماً كل أربع سنوات. ثم جاء أغسطس قيصر، فعُدّل هذا الترتيب إلى الوضع المعروف الآن، حين جعل شهر أغسطس ٣١ يوماً، وبالتالي صار شهر فبراير يتأرجح بين ٢٨ و ٢٩ يوماً. وعُرف هذا التقويم باسم "التقويم اليولياني".

(٦) وفي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، ثم في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، عرف الأقباط كتاب الدسقولية العربية الذي هو تعاليم الرُّسل، وهو مُترجم عن اللغة القبطية المترجمة أصلاً عن اللغة اليونانية لكُتب المراسيم الرسولية المعروفة منذ القرن الرابع الميلادي<sup>(٧)</sup>. فتذكر كُتب المراسيم الرسولية عن عيد الميلاد ”يوم ميلاد الرب تكملونه في الخامس والعشرين من الشهر التاسع للبرانيين“. أما المترجم إلى اللغة العربية فأضاف من عندياته عبارة لم ترد في الأصل حيث ذكر: ”الذي هو التاسع والعشرون من كيهك الشهر الرابع لأهل مصر“<sup>(٨)</sup>، فأربك الكنيسة القبطية حتى إلى يومنا هذا، لأننا لازلنا نعيّد عيد الميلاد في الثامن والعشرين من كيهك في السنوات القبطية الكبيسة.

ففي يوم ٢٨ كيهك في السنوات القبطية الكبيسة يحتفل الأقباط بالعيد بسهر ليلي يُختم بالقدّاس الإلهي كما يحتفلون أيضاً باليوم التالي له، وهو يوم ٢٩ كيهك ولكن ليس بسهر ليلي، بل بإقامة قدّاس في الصّباح. وهكذا يحتفلون بعيد الميلاد مرّتين في يومي ٢٨ ، ٢٩ كيهك كل أربع سنوات.

## ثاني يوم عيد الميلاد

كما وصلني تساؤلات كثيرة عن ثاني يوم عيد الميلاد. ونظراً لتصحيح بسيط أجرته على كتاب الميلاد البتولي والظهور الإلهي، أوردُ هنا هذا التصحيح باللون الأحمر.

نعرف من قوانين البابا كيرلس الثالث (ابن لقلق) (١٢٣٥-١٢٤٣م) في القرن الثالث عشر الميلادي، أن طقس الفرح في عيد الميلاد **يمتد إلى يومين، حيث يذكر ثاني الميلاد، وثاني الغطاس وثاني الفصح**<sup>(٩)</sup>.

ظهر مؤخراً تفسير طقسى **صحيح ودقيق** لثاني يوم عيد الميلاد، يقول بأنه إن وقع عيد الميلاد يوم ٢٩ كيهك، وكان اليوم التالي له أربعاء أو جمعة، فيُفرض فيه الصّوم. وهو ما يتكرّر ثلاث مرّات كل أربع سنوات. أمّا إذا وقع عيد الميلاد يوم ٢٨ كيهك، ووافق اليوم التالي (٢٩ كيهك) أربعاء أو جمعة، فلا يصام ذلك اليوم.

وهو تعليق يعالج الخطأ الذي سببه مترجم كُتب المراسيم الرسولية إلى اللغة العربية<sup>(١٠)</sup>. إلا أن هذا التفسير - من جهة أخرى - قد سبّب تشويشاً فيما يختص بطقس ثاني يوم عيد الغطاس - والذي يُعامل معاملة عيد الغطاس تماماً من جهة الطّقس والصّوم - حيث يقول التفسير إنه إذا وقع ثاني أيام عيد الغطاس يوم أربعاء أو جمعة لا يُصام انقطاعاً! (أي يُصام بدون فترة انقطاع). فما معنى صوم لا تسبقه فترة انقطاع عن الطّعام؟!

٦- لقد أضفتُ هذه الفقرة هنا لتوضيح أكثر. ولم ترد في الإجابة المرسله سابقاً.

٧- في سنة ٩٢٦م أي في أوائل القرن العاشر الميلادي، قام أحد الأقباط - غير معروف اسمه - بترجمة كُتب المراسيم الرسولية من اليونانية إلى القبطية الصّعيدية. وفي سنة ١٠٥٠م أي في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي تُرجم النص القبطي المذكور إلى اللغة العربية، تحت اسم ”الدسقولية“ وهي الترجمة التي نشرها الأستاذ حافظ داود (القُميص مرقص داود) لأول مرّة سنة ١٩٤٠م تحت اسم ”الدسقولية تعاليم الرُّسل“. ثم قام واحد اسمه أبو إسحق بن فضل الله بترجمة النص القبطي إلى اللغة العربية سنة ١٢٩٥م أي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وهو النص الذي نشره الدكتور وليم سليمان قلادة سنة ١٩٧٩م، تحت اسم ”كتاب الدسقولية تعاليم الرُّسل“.

٨- انظر: دكتور وليم سليمان قلادة، مرجع سابق، ص ٣٢٣ (رقم ٣ من حاشية ٢).

وهذه الإضافة الخاطئة انتقلت إلى مجموع قوانين البابا غبريال بن ثريك (١١٣١-١١٤٥م) في الباب الثاني والعشرين منها.

9- O.H.E. KHS - Burmester, *The Canons of Cyril III Ibn Laklak 75th Patriarch of Alexandria, op. cit.*, p. 125.

١٠- إن خطأ المترجم القبطي للدسقولية العربية في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي تقريباً، هو الذي تسبّب في هذا التشويش الخاص بتحديد يوم عيد الميلاد عند الأقباط حتى اليوم.  
انظر: ص ١٤٧ من هذا الكتاب الذي بين يديك.

